جامعة إب
مجلة الباحث الجامعي
ISSN: 2079-5068 ISSN (online): 2663-3930

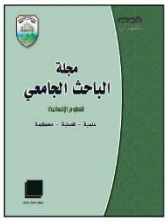

حجاجية الأساليب الإنشائية في المفاخرات النثرية في العصر المملوكي

طاهر سيف غالب منصور، محمد عبداللطيف أحمد شحرة
قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة إب، اليمن

الكلمات المفتاحية:
الحجاج، المفاخرات النثرية، الحجاج الإنشائي،

الملخص:

تهدف الدراسة بالاعتماد على المنهج التحليلي، وفي ضوء الحجاج وآلياته إلى الكشف عن القيمة الحجاجية للأساليب الإنشائية في المفاخرات النثرية في العصر المملوكي، وبيان دور تلك الأساليب في تقوية الحجة بوصفها من أهم الآليات التي تمنح النص قوة حجاجية مؤثرة، تسهم بفاعلية في التأثير في الخصم، وإقناع المتلقي بمحتوى الخطاب، وقد تم تقسيم البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة، تضمن المبحث الأول: التعريف بمفهوم الحجاج ومفهوم المفاخرات، وتناول المبحث الثاني: حجاجية الأساليب الإنشائية، مثل الاستفهام والأمر والنهي والنداء. وقد خلص البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها: أن الأساليب الإنشائية من استفهام وأمر ونهي ونداء قد مثلت حضورا لافتا في المفاخرات في العصر المملوكي، وبرزت قيمتها الإنجازية الحجاجية من خلال وظيفتها الدلالية، وطاقتها الإقناعية، والتأثيرية في المتلقي بمحتوى الخطاب.

حجاجية الأساليب الإنشائية في المفاخرات النثرية في العصر المملوكي

The Argumentative Techniques in the Rhetorical Boasts of Mamluk Era Prose

Taher Saif Kaleb Manssor, Mohammed AbduAlatif Ahmed Shahra
Department of Arabic Language , Faculty of Arts, Ibb University, Yemen

Keywords:

Argumentation, Prose Boasting, Rhetorical Argumentation,

Abstract:

This study aims to investigate the argumentative value of rhetorical devices in prose boasting in the Mamluk era, utilizing an analytical approach and drawing on the principles of argumentative criticism and its mechanisms. It examines the role of these devices in strengthening arguments, as they are among the most important tools that endow a text with persuasive power, effectively influencing opponents and convincing audiences of the content of the discourse. The research is divided into an introduction, two main chapters, and a conclusion. The first chapter defines the concepts of argumentation and prose boasting. The second chapter focuses on the argumentative value of rhetorical devices, such as interrogative, imperative, negative imperative, and invocative. The study concludes with a number of findings, the most significant being those rhetorical devices— interrogative, imperative, negative imperative, and invocative —were prominently featured in the boasting in the Mamluk era, and their argumentative achievement value emerged through their semantic function, their persuasive energy, and their influence on the recipient with the content of the discourse.

مقدمة:

لعل أهم ما ينبغي الالتفات إليه أن المفاخرات النثرية تمثل نصا حجاجيا في المقام الأول؛ فهي تحمل قصدًا إقناعيًا تمارسه على المتلقي (الخصم) لإخضاعه وإقناعه بأفضلية المفاخر ومكانته. وتسهم دراسة حجاجية الأساليب الإنشائية في المفاخرات في الكشف عن آليات الحجاج البلاغي فيها، وقد احتوت المفاخرات النثرية في العصر المملوكي على مجموعة من الأساليب البلاغية الإنشائية التي تسهم في تشكيل البنية الأساسية لنصوص المفاخرات، وتؤدي وظائف إقناعية، وتأثيرية في المتلقي للقبول بفحوى الخطاب، فالمفاخر –غالبا– يسعى إلى بناء حجته معتمدا على كثير من البراهين، والأدلة المتنوعة التي تقوي حجته، وتؤثر في المتلقي.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في إبراز حجاجية الأساليب الإنشائية في المفاخرات النثرية في العصر المملوكي، والكشف عن الدور المهم الذي تؤديه تلك الأساليب؛ إذ تعد من أهم الآليات التي تمنح النص قوة حجاجية مؤثرة وتسهم بفاعلية في إقناع المتلقي بمحتوى الخطاب.

مشكلة البحث:

يمكن تلخيص مشكلة البحث في سؤالين، هما: ما أهم الأساليب الإنشائية الحجاجية في المفاخرات؟ وما الوظيفة الحجاجية التي تؤديها تلك الأساليب؟

أهداف البحث:

أ- الكشف عن الأساليب الإنشائية في المفاخرات النثرية في العصر المملوكي.

ب- بيان الوظيفة الحجاجية للأساليب الإنشائية في المفاخرات النثرية.

منهج البحث:

المنهج الذي اعتمدته هذه الدراسة هو المنهج التحليلي للوصول إلى مقاربة تفاعلية تنطلق من مساءلة الأساليب الإنشائية التي تفضي إلى استكشاف دلالاتها العميقة ومقاصدها الدقيقة حجاجيا.

الدراسات السابقة:

لا يوجد دراسات حجاجية تناولت الأساليب الإنشائية في المفاخرات النثرية في العصر المملوكي، ما خلا بحثا وحيدا له صلة بدراستنا بعنوان: (حجاجية المناظرات الأدبية: المناظرة بين السيف والقلم لابن نباته المصري أنموذجا مقاربة أسلوبية) لعبد الرحمن بن أحمد السبت، اقتصر على دراسة مناظرة واحدة، في حين أن البحث الحالي يتناول ثلاث عشرة مفاخرة لاثني عشر كاتبا من أدباء العصر المملوكي مستمدة من مصادر متعددة، هي: كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار، وصبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي، والمحاضرات والمحاورات للسيوطي، وخزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الأموي، ومجموع المقامات اليمنية لعبد الله الحبشي، ومفاخرة بين مكة المكرمة والمدينة المنورة لمحمد بن سلميان، ومناظرة بين مكة

والمدينة ليوسف بن علي الزرندي، وغيرها مما هو مشار إليه في هوامش البحث، ومن الدراسات السابقة دراسة أخرى بعنوان: (المفاخرات المتخيلة في النثر العربي، تاريخ وتقويم) لمصطفى محمد رزق السواحلي، وهو بحث اقتصر على دراسة المفاخرات موضوعيا بعيدا عن الحجاج، أما الدراسات التي تناولت الحجاج على وجه العموم فهي كثيرة؛ منها: (أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي السور المكية) د. مثنى كاظم صادق، و(القيمة الحجاجية في الجمل الإنشائية في شعر طرفة بن العبد: دراسة نحوية دلالية) حسين راضي العايدي، و(الحجاج في الشعر العربي القديم، بنيته وأساليبه) سامية الدريدي، وغيرها من الدراسات العامة التي تناولت الحجاج تنظيرا وتطبيقا وأفاد منها الباحث.

خطة البحث:

احتوى البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة:

المقدمة: احتوت على أهمية البحث، ومشكلة البحث وأهداف البحث، ومنهج البحث، والدراسات السابقة وخطة البحث.

المبحث الأول: الحجاج والمفاخرات

المطلب الأول: مفهوم الحجاج.

المطلب الثاني: مفهوم المفاخرات.

المبحث الثاني: حجاجية الأساليب الإنشائية:

المطلب الأول: الاستفهام.

المطلب الثاني: الأمر.

المطلب الثالث: النهي.

المطلب الرابع: النداء.

الخاتمة.

المبحث الأول: الحجاج والمفاخرات:

المطلب الأول: مفهوم الحجاج:

نتلمس مفهوم الحجاج في بعض الموسوعات والمعاجم وبعض كتب رواد هذه النظرية على نحو يسمح بتكوين مفهوم تصوري.

فتحديد مفهوم الحجاج يختلف ويتنوع لكونه خطابًا إقناعيًا؛ أي إن هدفه التأثير في المتلقي إما لتدعيم موقفه، وإما لتغيير رأيه وتبني موقف جديد[1]، وهذا المحدد لا يتعلق بالشكل اللغوي، أو بمحتوى الخطاب، ولكن بوظيفته الكلية؛ فالنص الحجاجي لا يمكن أن يعرف من خلال خصائص شكلية لغوية (مثلما يفعل بالأشكال الخطابية)؛ إذ إنه يمكن أن يوجد مع الوصف أو مع السرد أو مع الشعر أو مع غيرها. [2]

جاء في المعجم الفلسفي لجميل صليبا: "الحجاج هو: جملة من الحجج التي يؤتى بها للبرهان على رأي أو إبطاله، أو هو طريقة تقديم الحجج والاستفادة منها "[3]، وتقارب هذه الدلالات ما جاء في موسوعة (لالاند)؛ إذ تعرف الحجاج بأنه: "طريقة عرض الحجج وترتيبيها"[4]. أما الحجة فهي:" استدلال يرمي إلى برهان قضية معينة أو دحضها"[5]. والحجاج هو: توجيه خطاب إلى متلق ما لأجل تعديل رأيه أو سلوكه أو هما معا، وهو لا يقوم إلا بالكلام المتألف من معجم اللغة الطبيعية[6]. والحجاج هو: "نشاط قولي إذا ما تأملناه من زاوية نظر الفاعل المحاجج يتعلق ببحث مزدوج عن الحقيقة"[7]

ونستنتج من هذه التعريفات أن الحجاج فعالية لغوية اجتماعية وعقلانية غايتها إقناع المعترض العاقل بمقبولية رأي من الآراء، عبر تقديم جملة من القضايا المثبتة، أو النافية لما ورد في هذا الرأي من قضايا.

المطلب الثاني: مفهوم المفاخرات:

المفاخرات لغة:

جاء في لسان العرب: فخر الفخْر والفخَر، مثل نهر ونهر، والفخر والفخار والفخارة والفِخّيري والفِخِّيراء: التمدح بالخصال والافتخار وعدُّ القديم، وفخر يفخر فخرًا وفخرة حسنة فهو فاخر وفخور وكذلك افتخر وتفاخر القوم بعضهم على بعض[8]. وبناء على هذا فالمفاخرة تأتي على معانٍ؛ منها: المدح والتمدح، الطيب الصيت والكريم، التفاضل، التكبر، المفاضلة، ادعاء العظم والكبر والشرف شكرا لا تبجحا، المغلوب، الجيد الحسن، الكريم الأصل، العظيم المبنى، الأنفة والشيء يرفع من الشأن[9].

والمتتبع لهذه المعاني يجد أنها تصب جميعا في التمدح بالخصال، وعد القديم من الصفات الحسنة، وإظهار الصيت الحسن من أجل العمل على إذلال الخصم وهزيمته.

المفاخرات اصطلاحا:

تعددت تعريفات المفاخرات عند الباحثين فمنهم من عرفها بأنها: " حوار يشترك فيه اثنان فيعدد كل واحد منهما مزايا أجداده، أو مزايا شيء من الأشياء محاولا أن يظهر سموها وتقدمها على تلك التي يقدمها محاوره"[10]، وهذا التعريف العام لا ينطبق على المفاخرة الأدبية بمفهومها الخاص؛ وإنما ينطبق على مفهوم المنافرة، وقد حاول الدكتور مصطفى السواحلي تعريف المفاخرات بقوله:" هي: محاورات متخيلة يجريها الأديب على لسان طرفين أو أكثر، يقوم فيه كل طرف بتعداد مآثره وتفنيد دعاوى خصمه، وتنتهي إما بالتصالح بين المتخاصمين وإما بانتصار أحد الطرفين"[11]، وهذا التعريف قريب من التعريف السابق للمفاخرات، ولعل أقرب تعريف للمفاخرات الأدبية ما ذكرته الدكتورة زينب جكلي بأنها:" محاورة بين اثنين أو أكثر من غير العقلاء يشخص فيها المتحاورون، ويعارض أحدهم الآخر ليفحمه بحججه التي يراها مناسبة وذلك لتحقيق غاية ارتآها الأديب من مفاخرته"[12]

المبحث الثاني: حجاجية الأساليب الإنشائية في المفاخرات النثرية في العصر المملوكي:

يسعى الكاتب –من خلال مفاخرته– إلى بناء حجته معتمدا على كثير من الوسائل والأساليب، وفي هذا المبحث سيتناول البحث حجاجية الأساليب الإنشائية، وأثرها في تقوية الحجة.

و"الأفعال الإنشائية أدوات استراتيجية مؤثرة في المتلقي، إذ تمارس الأفعال الإنشائية قوتها بطلبها، ويتجلى هذا الطلب بالربط بين آثاره ونتائجه من خلال انزياحه، فالجمل الإنشائية: تراكيب محفزة تستدعي النهوض بالحجة بوصفها ممرات ضمنية لقوة الحجة وتأثيرها في المتلقي،

فالنشاط الطلبي الحجاجي يحث المتلقي إلى الإصغاء ومنه ترتبط اللغة بإنجاز الوقائع"[13].

وهكذا يستعمل المرسل الأفعال الكلامية المباشرة عندما تكون ثمة رغبة كامنة في النفس، لتبليغ أمر ما يراد منه مصلحة معينة تتم آنا أو مستقبلًا؛ فيتجه صوب الأساليب: كالاستفهام، والأمر، والنهي، والنداء؛ لتحقيق هذه المصلحة بوصفها منجزات طلبية مباشرة، ولما كان الحجاج "كل منطوق به موجه إلى الغير، لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها بحسب القيمة التي تحملها"[14]، فإن القيمة الإنجازية التي تصطبغ فيها جملة الاستفهام والأمر والنهي والنداء تعد قيمة ذات قوة دلالية مؤثرة[15]، والخطاب الحجاجي في المفاخرات يحرص على حضور الأساليب الإنشائية التي تتضمن في سياقاتها مسلمات، ومواءمات، تسعى إلى تحقيق الغاية الحجاجية من خلالها، فهي تعطي بعدًا دلاليًا، تأثيريا هدفه الإقناع.

ولأن الحجاج الإنشائي يقوم في الأساس على جهود (أوستن) (وسيرل) في مجال الأفعال الكلامية التي انصبت في مجملها على الأفعال الكلامية الإنشائية بوصفها أفعالًا كلامية في سياق النص[16]، فـ(أوستن) ميز بين الجمل الوصفية والإنشائية و :" أقر بأن كل جملة بمجرد التلفظ بها على نحو جاد توافق على الأقل إنجاز عمل قولي وعمل متضمن في القول، وتوافق كذلك القيام بعمل تأثير بالقول"[17]، ووافقه (سيرل) في ذلك[18]. وسيقتصر البحث هنا على الحجاج الإنشائي الطلبي، وذلك على النحو الآتي:

حجاجية الاستفهام:

الاستفهام يعد من الوسائل الحجاجية المهمة التي تحفز المتلقي، ويمكن من خلاله معرفة الموقف ضمنًا أو علنا بقرائن السياق[19] التي تثير المتلقي، ولا سيما أن الاستفهام يرتبط بعامل القصدية، وهذه القصدية تكمن وراءها ردود أفعال منتظرة، وهذا ما يجعل الاستفهام شديد الإلزام لمشروطية الإنجاز، ومن هذا المنطلق يعرف الاستفهام الحجاجي بأنه "نمط من الاستفهام يستلزم تأويل القول المراد تحليله انطلاقا من قيمته الحجاجية"[20]؛ لأن المستفهم (المرسل) متى ما طرح سؤاله فإنه يدعو المتلقي إلى اتخاذ قرار ما؛ بل إن الجواب حتى لو كان معلومًا يثير التساؤل حول المستفهم عنه، كما في الاستفهام المجازي[21]؛ فالاستفهام الخارج عن بنيته المقامية في الخطاب، والداخل في معانٍ أخرى يهدف إلى إضعاف موقف المتلقي معنويًا، وإلزامه بالجواب والإقرار بما يريده المرسل[22]، ويأتي الاستفهام في الصدارة بين الأساليب الإنشائية التي شاعت في المفاخرات، وقد اعتمد كتّاب المفاخرات الاستفهامات المحصورة، وغير المحصورة، أما الاستفهام المحصور وهو :"ما حصرت فيه على المجيب أن لا يجيب إلا ببعض السؤال كقولك: ألحمًا أكلت أم خبزا؟ فقد حصرت عليه ألا يجيبك إلا بأحدهما"[23]، وقد يأتي الاستفهام مفوضا (غير محصور)[24].

ومن الأمثلة الواردة في المفاخرات عن الاستفهام المحصور ما ورد عند ابن المؤذن، على لسان الجسر وهو يفاخر الجزيرة:" ألك بوّاب تقف عليه الملوك؟"[25]، فالكاتب على لسان الجسر لا يتيح للجزيرة إلا ردا محصورا متمثلا بالنفي؛ لمطابقته الواقع.

ويأتي الاستفهام للتعجيز، على نحو ما ورد للقلقشندي على لسان (علم القيافة) في رده على (علم خواص العقاقير): "أين أنت من إلحاق الابن بالأب بالصفات المتماثلة، والحكم بثبوت النسب بدلائل الأعضاء كما يحكم بالبينة العادلة"[26]، فالكاتب على لسان علم القيافة لم يقتصر على تعجيز خصمه؛ وإنما تجاوز ذلك إلى التفاخر بدقة حكمه في إلحاق الابن بالأب.

وقد يكون الغرض من الاستفهام الاستنكار، لأجل التوبيخ، أو التكذيب، أو التحقير، ومن أمثلة حضوره في المفاخرة نفسها لابن المؤذن على لسان الجسر مخاطبا الجزيرة:

- "أتناظريني ولي حاجب يحجبني برماح من قصب السكر؟"[27].

- "أتناظرين الجسر الذي هو جنة فيها القصور تضم حور العين؟"[28] .

- " أتناظرين بموردة الجسر خرطومي الشهي، أم بشاطئك –الذي ينزل فيه النواتية– وجه مقصفي البهي؟"[29]، إذ يستدعي الكاتب على لسان الجسر هذه الاستفهامات الاستنكارية؛ لإثارة الشك حول الصورة التي يتبناها الخصم، فيضعها في موضع ضعف واستحقار لمكانته التي يتباهى بها؛ وذلك يجعل الخصم في موقع المدافع لا المبادر، فينشغل برد النفي وإثبات خلاف ذلك.

وقد يعمد المفاخر إلى الاستفهام لحمل المخاطب على أمر ما، ومنه –في المفاخرة نفسها–قول: الجسر:"أتذكرين رقة خليجي الساحب"[30]؛ حيث أراد حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه، وإلزامه به.

ومثال ذلك العبارات الاستفهامية التي ترد لأجل حمل الخصم على الاعتراف بالفضل لخصمه، وبيان أهمية المستفهم عنه، جاء في المفاخرة بين مكة والمدينة لمحمد بن سلميان على لسان مكة وهي تفاخر المدينة:

1- "فهؤلاء العشرة البررة، فمن أين لك مثل هؤلاء المطهرة؟"[31].

2- "أين أنت من أيام الشعب، وإلصاق الصحيفة، وقيام الخمسة في نقضها؟"[32].

3- "أين أنت من ليلة الإسراء، وما اشتملت عليه من الآية الكبرى"[33].

فأرادت مكة من الأسئلة التي أوردتها تقرير المدينة بإبطال ما ادعته لنفسها من الفضل، والإقرار بأفضلية مكة، فالاستفهام الوارد ليس بحاجة إلى إجابة من المدينة؛ بل إنه أدى إلى إثبات الجواب المفترض وهو الإقرار علنًا أو ضمنًا بأفضلية مكة على المدينة.

وقد يتعدى البعد الخارجي للسؤال هذه الحدود، فيذهب الكاتب على لسان المفاخر إلى إثبات الأفضلية لنفسه، أو نفيها عن الخصم، وقد يذهب إلى التشهير بأخطاء الخصم حتى يضعه في

موضع الارتياب، وضعف المواجهة، ويتيح السؤال تمرير خطاب سلبي عن الآخر.

ويمكن التدليل على ذلك بما جاء في بعض المفاخرات، فعلى سبيل المثال–في مجموع المقامات اليمنية في مفاخرة الشمعدان والقنديل لتاج الدين اليماني–يقول الشمعدان، وهو يفاخر القنديل:" أين ثمنك من ثمني، ومسكنك من مسكني، صفحاتي صفحات الإبريز، فلذا سموت عليك بالتبريز؟"[34]؛ إذ استطاع الشمعدان أن يمرر ما يدل على أفضليته من خلال الاستفهام عن فارق القيمة.

ومثله –في مفاخرة السيف والقلم لابن نباته المصري –قول القلم يستنكر على السيف طيشه:" وأين علم الشيوخ عند جهل الشباب، أما كان الأحسن بك أن تترك هذا الرفث؟ أما تعلم أني معينك في تشييد المماليك، ورفيقك فيما تسلكه لنفعها من المسائل"[35].

وهنا يتيح الخطاب للقلم أن يمرر ما أراده من السيف من خلال سؤاله، وجره إلى الاعتراف والإقرار بأن الأحسن ترك الرفث، وهذه التساؤلات الموجهة للخصم هي تساؤلات مقصودة في الخطاب، تؤكد تفوق القلم في بيان رأيه المخالف للسيف؛ وبهذا أصبحت التساؤلات والاستفهامات حججًا لا تتطلب إجابات، "والمخاطَب يدرك كما يدرك المخاطِب أن هذه الأسئلة ليست استفهامًا عن مجهول إذ لا يجهل المخاطَب شيئًا من هذه المعارف كما لا يتوفر المخاطَب في أغلب الأحوال على معرفة تزيد على ما يعرفه المخاطِب"[36]، فالاستفهام هنا هو الحجج بذاتها.

ومن الاستفهامات الواردة في المفاخرات ما جاء في مفاخرة السيف والقلم للقلقشندي؛ إذ يرد على لسان القلم وهو يعرّض بالسيف:" أنسيت إذ أنت في المعدن تراب تداس بالأقدام، وتنسفك الرياح، وتزري بك الأيام"[37]، وهذا الاستفهام حمل معنى التعجب من نسيان السيف لأصله، وأن العامل الأكبر لاستدعاء هذا الاستفهام هو التهكم، والسخرية، والتقليل من شأن السيف والحط من قدره وقيمته.

وتكمن أهمية الاستفهام في الدور الذي يؤديه في علمية التواصل، ووظيفته التبليغية، والحجاجية[38]

وقد تتكرر الاستفهامات لتأكيد شدة الإنكار على الخصم، وتقريره بمكانته من ذلك ما جاء– في المناظرة بين مكة والمدينة للزرندي– على لسان مكة، وهي ترد على المدينة منكرة ما عرضت به من قول فهي تنكر عليها ذلك التعريض بمثل قولها:" أبي تعرضين، أم عليَّ تستظهرين، أم مع وجودي في الوجود تفخرين...، أما علمت أن بنيتي أعظم البنيات، أما سمعت قوله تعالى ﴿فيه آيات بينات﴾، ألك مثل الكعبة ذات الستور، أو البيت المقابل بالبيت المعمور....، أفي صفاتك كالصفا، أم في نعيمك كالتنعيم، أم قام لك مكان (مقام إبراهيم)، وهل حدا حادي مياهك بمثل المصافي، وزمزم، أو تحققت علم الكيمياء، وظفرت بالحجر المكرم....؟"[39]،

فالجمل السابقة عبارة عن استفهامات إنكارية، وتوبيخية، وتعجيزية فيها دعوة للخصم إلى أن ينتهي عن التباهي والتفاخر والمكابرة وادعاء الفضل، وهنا نلحظ أن الاستفهام قد لعب دورًا حجاجيًا واضحًا، وأساسًا في الإقناع بالحجة، فالمدينة ليست في موقع المطالب بالبحث عن أجوبة لهذه التساؤلات الاستفهامية التي تعد من المسلمات عند الطرفين (مكة والمدينة)، بل عند كل صاحب عقل وبصيرة مدرك للوقائع وحقائق الأمور.

ولعل تصدر أسلوب الاستفهام في المفاخرات على الأساليب الإنشائية الأخرى يرجع إلى قيمته الحجاجية، وأثر صيغته في الإقناع والتأثير.

حجاجية الأمر:

أسلوب الأمر من الأساليب الإنشائية التي اهتم الدارسون بها في إطار الحجاج البلاغي؛ لما يوفره من طاقة وقدرة إقناعية، والأمر يحمل في طياته بعدًا حجاجيًا لدلالته على استمرارية الحدث والزمن[40]، والأمر هو:" صيغة تستدعي الفعل أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الاستعلاء والإلزام"[41]، والأمر يخرج عن معناه الحقيقي إلى معان أخرى تعرف من سياق الكلام، وقرائن الحال، وسيقتصر الإجراء على فعل الأمر في صيغة (افعل)؛ لأن هذه الصيغة أقوى من الصيغ الأخرى، كما أن المرسل يلقيها إلى المخاطب آمرًا إياه بإيقاع الفعل[42]، وقد وردت هذه الصيغة في المفاخرات من ذلك ما ورد في مفاخرة ابن الوردي بين السيف والقلم؛ إذ جاء على لسان القلم وهو يفاخر السيف:" أنا المنتصب لمصالح الدول وأنت في الغمد طريح، والمتعب في تمهيدها وأنت غافل مستريح، والساهر وقد مهد لك في الغمد مضجع، والجالس عن يمين الملك وأنت عن يساره، فأي الحالتين أرفع، والساعي في تدبير حال القوم، والمغني لنفعهم العمر، إذا كان نفعك يومًا أو بعض يوم، فاقطع عنك أسباب المفاخرة واستر أنيابك عند المكاشرة، فما يحسن بالصامت محاورة المفصح، ﴿والله يعلم المصلح من المفسد﴾"[43]، فالفعلان (اقطع) و(استر) جاءا على وجه الاستعلاء من القلم لبيان حال السيف إذا قورن بالقلم، كما دل الفعلان على التهكم والسخرية من السيف، وما ورد على لسان القلم من الحقائق فيه دعوة للخصم بالإقرار بحاله والاعتراف بعجزه؛ ما يجعله مضطرًا للانصياع إلى قطع أسباب المفاخرة ، وترك المكاشرة.

ويستدعي الكاتب فعل الأمر على لسان السيف، وهو يرد على القلم –في المفاخرة بينهما لابن الوردي– فيقول:" أبشر بفرط روعتك، وشدة ضيقتك، إذا قست بياض صفيحتي بسواد صحيفتك، فألن خطابك فأنت قصير المدة، وأحسن جوابك فعندي حدة، وأقلل من غلظتك وجبهك، واشتغل عن دم في وجهي بمدة في وجهك، وإلا فأدنى ضربة مني تروم أرومتك فتستأصل أصلك وتجتث جرثومتك.."[44]، في هذا النص جاءت الأفعال: (فألن، أحسن، أقلل، واشتغل) في سياق الاستعلاء والإلزام المشتمل على التهديد، ويتكئ السيف في تهديده على قوته

أمام القلم مستعينًا بأفعال الأمر التي تفرض سيطرة على ذهن المتلقي تجبره على تنفيذ الطلب، وبدأ السيف تهديده بصورة غير مباشرة باستخدام الأفعال الدالة في ظاهرها على النصح والإرشاد ، والتهديد في باطنها ،وقد ساعدت هذه الأفعال على تمرير التصريح بالتهديد بعد ذلك في قوله: (وإلا فأدنى ضربة مني تروم أرومتك فتستأصل أصلك...)، كما حلمت هذه الأفعال فعلًا إنجازيًا على لسان السيف بدافع الإقناع والتأثير، وتكرار أفعال الأمر أدى بالفعل الإنجازي إلى تحقيق الغرض في تقوية الحجة، ولعل مثل هذه المفاخرة بين السيف والقلم هي انعكاس لشعور واقعي وغيرة حقيقية ناتجة عن التنافس بين أرباب السيف و أرباب القلم في المكانة والأهمية والأفضلية في الواقع الاجتماعي والسياسي.

ومما جاء في التهديد كذلك ما رود في المفاخرة بين النرجس والورد لأبي الحسن المارديني، على لسان النرجس في رده على الورد: " فلا تبهرج زيفك على خالص اللجين، وارجع عن المناظرة فما جئتك إلا بعين"[45] ولم يكن التهديد السابق إلا مقدمة حجاجية لنتيجة أرادها النرجس ضمنها في بيت شعري مستخدما أسلوب الأمر على النحو الآتي:

فافْهمْ وكُنْ عَن رُتْبَتِي مُتَأَخِرًا
واعلمْ بأنَّ الفَضْلَ للمُتَقَدِّمِ[46]

فالأفعال (افهم، كن، اعلم) جاءت لبيان النتيجة الحجاجية التي تتمثل في إلزام الخصم بالاعتراف للنرجس بالفضل.

ومما جاء من استخدام الأمر في المفاخرات قول مكة للمدينة –في المناظرة بينهما للزرندي – بعد أن ذكرت ما اختصت به دونها: "فارتعي يا هذه على نفسك، وإياك أن تترفعي على أبناء جنسك"[47]، فالكاتب يورد على لسان مكة الفعل (ارتعي) الذي هو متحقق عن طريق الاستعلاء والإلزام المتجه نحو التوجيه والنصح والإرشاد، يحمل حجاجًا مقنعا يفرضه مقام الحال الذي يحمل الخصم على الامتثال للأمر والسعي لإنجازه، و" القوة الحجاجية التي تستميل المتلقي إلى المعاملة الحسنة، وتنفره من سيء الأخلاق مطلوبة"[48].

وقد يستدعي الكاتب الفعل صراحة في التحذير كما جاء في المفاخرة بين الورد والنرجس لتاج الدين اليماني، على لسان الورد وهو يحذر النرجس: " واحذر أن تطاول من هو أعلى منك محلة، وأبهج في ارتداء السيادة حلة"[49]، إذ جاء التحذير بصيغة الأمر صراحة (احذر)؛ بسبب تطاول النرجس على من هو أعلى منه محلًا ومكانة؛ ما أكسبه بعدًا حجاجيًا؛ يؤدي إلى الامتثال والتنفيذ للأمر من قبل الخصم (النرجس).

حجاجية النهي:

أسلوب النهي كأسلوب الأمر إنشائي ينتمي إلى صنف الأفعال الكلامية التي فيها إنجاز معين، ولكنه ضمني، ومن ثمة تبدو صلتهما بالحجاج وثيقة؛ لأنهما يهدفان إلى توجيه المتلقي إلى سلوك معين [50].

فالنهي له طاقة حجاجية فاعلة لتضمنه معنى الترك أو طلب الكف عن فعل ما وإنجاز فعل مضاد له، ولأنه يحمل دعوة توجيهيه للمتلقي؛ وبالنتيجة اقتناعه بهذه الدعوة.

فالمرسل يتواصل مع المتلقي من خلال طلب ترك الفعل المنهي عنه، وإنجاز فعل آخر نقيضه، إذ ثمة أفكار راسخة تستدعي الكف عنها عن طريق الحجاج بصيغة النهي؛ لأن صيغة النهي تبرز فيها بعدها وهو (المفضّل)، وأن هذا المفضل أدعى إلى الانتباه إليه، وترك ما يناقضه، وهذا ما يستلزم السرعة في الترك[51]، وتحقق صيغة النهي الإنجازية بصيغة: (لا تفعل)، وأن التعامل مع هذه البنية يستدعي حضور حالة شعورية وذهنية، تبدأ فاعليتها من منطقة الإثبات؛ لأن الكف فعل يحصل بشغل النفس ضد المنهي عنه، فالمرسل لا ينهى المتلقي إلا إذا وجد عنده القدرة على الإنجاز[52].

وتتحرك صيغة النهي من موضعها؛ لتفرز دلالات متعددة، تستمد قوامها من المعنى الأصلي مشبعة بطبيعة السياق معتمدة على قرائن الأحوال[53]، من هذه الدلالات دلالات حجاجية تعمل على تقوية الخطاب وتدعيمه.

ومما جاء في المفاخرات مثالًا على أسلوب النهي –في مفاخرة كشف الأسرار لابن غانم المقدسي–قول الليلوفر يفاخر خصومه من النباتات:

ولَا تجْزعنَّ بحدِّ النِّبالِ
ومُرِّ النِّكَالِ ففيهِ الهنَا[54]

فصيغة النهي تدعو العاشق وصاحب الهوى للكف عن الجزع بحد النبال ومر النكال لحماية الوصال واللقيا ولكي يكون النهي مؤثرًا وعميقًا أكد بالأمر في قوله:

ومُت مثلَ ما ماتَ أهلُ الهوَى
وذابُوا اشْتيَاقًا فنالُوا المُنى[55]

وبيان عاقبة تحمل العاشق (صاحب الهوى) وصبره على آلام الحب بهذه الصورة أضفى نوعًا من الحجاج على ما يراد تقريره في الذهن؛ وذلك أدى إلى تعميق فكرة الكف عن الجزع للنتيجة الحتمية التي ستؤول عند الالتزام بالنهي، وهو نيل الهناء والمنى. ومثله في المفاخرة نفسها قول الياسمين يخاطب غيره من الرياحين والنبات:

رأيتُ الفألَ يُخبرني بخَبرٍ
فلَا تَحزنْ فإنَّ الحزنَ شيْن
وقد أَهْدى إليَّ الياسمينُ
ولَا تَيأسْ فإنَّ اليأسَ مَين[56]

جاءت صيغة النهي هنا تحمل نصحًا وإرشادًا تمثل بالدعوة إلى الكف عن الحزن واليأس، وعلل دعوته إلى الكف بأن الحزن عار وعيب، وكذا اليأس كذب وخداع، وبناء على هذه الدعوة تأتي الحجة في صوابية الفأل والتمسك بالأمل المفضي إلى السعادة المضادة للحزن واليأس.

وقد اكتسب النهي (لا تحزن) طاقة حجاجية من خلال التأكيد على أن الحزن شين، وهو سبب لليأس، واليأس كذب وخداع للنفس؛ لأنه يعمي عن رؤية الحقيقة الكامنة في خيرية التفاؤل المسبب

للسعادة، ومن ثم فإن حجاجية النهي قد أكدت صواب الدعوة إلى التفاؤل المفضي إلى الخيرية، التي نبه إليها في مطلع البيت الأول.

وقد يعمد الكاتب على لسان المفاخر إلى النهي ليحتج به على خصمه، ويلفت نظره إلى ما هو أهم من المفاخرة بينهما، من ذلك ما جاء في المفاخرات الباهرة فيقول الجسر وهو يخاطب البركة:" أيتها البركة العميقة، واللجة الغريقة، لا تنظري إلى قصورك المشيدة وداراتك البعيدة..."[57]، فالنهي هنا أريد به التقليل من شأن الخصم واشتمال دلالة الأمر بضده، الغرض منه لفت انتباه البركة إلى محاسن الجسر؛ لأنه "أبو المحاسن، والمقاصف، ونزهة الأحداق والمهج، ومحل البسط، والفرج، ومربع الأنس في الأوطان... ،وقصوري مطالع بدور الأفاق.."[58].

وتكمن حجاجية النهي هنا بإعطائه تبريرًا مفتوحًا للجسر على البركة؛ إذ استطاع من خلاله ذكر محاسنه وفضائله التي تفرد بها على خصمه، ولم يكن النهي دعوة للتواضع بأن لا تنظر البركة إلى قصورها وتعجب بذلك؛ وإنما أراد من النهي محاججتها بأن ما عندها من القصور، والمحاسن لا يستحق النظر إليه إذا قورن بقصوره ومحاسنه.

وقد يأتي النهي للتحذير، مثاله ما جاء –في المفاخرة بين الجسر والجزيرة لابن المؤذن– على لسان الجزيرة، وهي تفاخر الجسر؛ إذ تقول:" يا كثير الحيلة، وهل أنا بعيدة من باب زويلة؛ فسدّ خوخة العياقة، ولا تدخل معي في هذا الباب فما لك به طاقة"[59]، فالتحذير يظهر جليًا من قولها (لا تدخل معي في هذا الباب)، ثم تبرر هذه الحجة بقولها: فمالك به طاقة، فالغرض من النهي هو تيئيس الخصم وإقناعه بعدم الجدوى من محاولته الخوض في المواجهة والمفاخرة، فهو لا يقوى عليها، ومفهوم المخالفة لهذه الجملة أن باب التفاخر لا يدخله إلا الأقوياء الذين يملكون ما يؤهلهم لدخوله، وأفادت لفظة (معي) امتلاك الجزيرة للمؤهلات التي تمكنها من المفاخرة، والتباهي بعكس الجسر؛ لأنه يعجز عن ذلك وإن حاول فسيهلك، فالنهي أعطى مفهومًا حجاجيًا دقيقًا للمقارنة بين الجزيرة والجسر في الأهلية والمكانة.

ومثال ما سبق ما ورد في المفاخرة بين النرجس والورد لأبي الحسن المارديني على لسان الورد فيقول:" ولا تدخل في باب مالك به طاقة، فلقد استحقيت المقت، ولا أبالي بك ولو برقت"[60] فالتحذير للنرجس متمثلة بضعفه أمام الورد، وأنه لا طاقة له بمجابهته، ثم يؤكد هذا التحذير بقوله:" فلا تطل الشقاق والنفاق، ولا بد لك من الوقوف على خدمتي ولو قامة الحرب على ساق"[61].

وقد يستخدم المفاخر النهي ليستدعي المشترك بقصد إغراء الخصم، والظفر به، من ذلك ما جاء على لسان القلم –في المفاخرة بينه وبين السيف لابن نباتة– يقول:" فلا تشمت بنا الأضداد، ولا تسلط بفرقتنا المفسدين في الأرض إن الله لا يحب الفساد"[62]، (فالأضداد) هو المشترك، وكذلك (المفسدين)، وهنا تأتي القوة الحجاجية للنهي بصرف نظر السيف إلى الأضداد، وإشغاله بهم،

فيضعف تركيزه تجاه القلم؛ ويخفف من وطأة هجومه، وكأن القلم يريد أن يستفيد من هذه الهدنة، أو التهدئة؛ ليرتب أوراقه، ويعد عدته _كما يحصل في صراع الأشخاص في الحياة الاجتماعية– فيتمكن من صد الخصم والظفر به على حين غرة، وبذلك ينجح في حيلته ويظفر بمراده، من خلال إظهار مفاخره وفضائله، يؤكد ذلك الحال الذي وصل إليها السيف:" فعند ذلك نكس السيف طرفه وقبل خديعة القلم قائلًا: لأمر ما جدع قصير أنفه، وأمسك عن المشاغبة خشية الزلل، فإن السيوف معروفة بالخلل"[63].

ويجتمع أحيانًا الأمر والنهي معًا في بعض المواضع ليشكلا قوة حجاجية مدمجة لا يقوى الخصم على ردها، ومثال ذلك ما ورد –في المفاخرة بين مكة والمدينة للزرندي– على لسان مكة وهي تخاطب المدينة قائلة :"فاقعدي في بيت حيائك، وقرَّي، وعزري من هو أكبر منك، ووقري، وإياك إياك، فلا تحتقري، ولا تنقبي لما يعود عليك ضرره، ولا تنقري، وأقصري من شأوك وزهوك، وقصري بعض خطابك وخطوك، فقد دللتك إلى طريق إخوان الصفا، وقد نصحتك فيما قد قلته وكفى"[64]، فقد تضافرت الأوامر والنواهي وتوالت؛ لبناء طاقة حجاجية تفصيلية أرادت منها مكة التعريض بالمدينة في أغلبها فقولها: (اقعدي في بيت حيائك) تعريض بنفي الحياء عن المدينة، حين تتجرأ على أن تتباهى على مكة، فكأنها في موضع يتنافى مع آداب التخاطب مع من هم أعلى مكانة وأرفع مقاما، وتؤكد ذلك بقولها: (وقرَّي)، ثم تعرض بسلوكها المشين مع من هو أكبر منها فتقول: (وعزري من هو أكبر منك)، وتؤكد هذا بفعل الأمر (وقري) ،ثم تنتقل إلى التحذير باستخدام أسلوب النهي المتعدد : (لا تحتقري، لا تنقبي، لا تنقري)، ثم تعود مرة أخرى إلى استخدام الأمر المتعدد في مقام النصح (اقصري، وقصري)...؛ فقد دللتك إلى طريق إخوان الصفا وقد نصحتك...) فهذا الكم من الأوامر والنواهي يجعل الخصم عاجزًا عن الرد، أو الدفاع عن نفسه؛ لما تحمله من طاقة حجاجية مضاعفة مع الإشارة إلى ترك المصالحة، واتخاذ سبيل الأخوة، وترك سبيل العداوة بينهما.

حجاجية النداء :

يتحدد الغرض الحجاجي للنداء في المفاخرات من خلال العلاقة التي تنشأ بين المنادي والمنادى، فإن كان التعبير الندائي يحمل مقاصد واضحة صريحة تفهم من التركيب اللغوي نفسه للجملة الندائية من دون اللجوء إلى وسائل أخرى خارجية، كان الغرض من النداء حينذاك أصليًا[65]، وهو تنبيه المخاطب (المنادى) وتهيئته لاستقبال ما يطلب منه.

وللنداء أدوات منها ما يستعمل للقريب ومنها ما يستعمل للبعيد[66]، وقد يخرج النداء عن معناه الأصلي إلى أغراض أخرى تفهم من السياق، فإذا كان النداء يتضمن معاني خفية زائدة على المعنى الأصلي ترتبط بالجوانب النفسية والشعورية والوجدانية لكل من المنادي والمنادى يعتمد في الكشف عنها على القرائن المقالية والمقامية؛ كان

النداء خارجًا عن معناه الأصلي، وهذا ما سنجده في المفاخرات تاليًا.

والعمل على إبراز وظيفة النداء الحجاجية في المفاخرات لا يقتصر على مركباته النحوية؛ وإنما يتعداه إلى ما بعد البنية الندائية؛ لأنها غالبًا ما تكون هي المقصودة من المتكلم، وبهذا الوصف يكون النداء عبارة عن تركيب طلبي مع تركيب جوابي، يجيء في المفاخرات لأغراض حجاجية لم يتمكن التركيب الطلبي في أصل وضعه من الوفاء بها من دون التعبير عنها.

ومن أمثلة استعمال النداء في المفاخرات ما جاء على لسان (علم الصرف) –في المفاخرات بين العلوم للقلقشندي– وهو يرد على (علم اللغة):" رويدك أيها المساجل، وعلى رسلك يا ذا المناضل، فقد ذل من ليس له ناصر، وحط قدر من ترفع على أبناء جنسه ولو عقدت عليه الخناصر"[67]، وبالنظر إلى التركيب الندائي في الجملة، نلحظ أن النداء حمل حجة، مفادها التعريض بالخصم بعد أن افتخر باعتداده بنفسه، وادعائه عدم حاجته لغيره، فجاء الطلب بأن يتمهل ويتريث، ثم جاء جواب الطلب الذي بين فيه خطأ اعتقاد علم اللغة، فالواقع يثبت خلاف ذلك، وهو أن الذي ليس له ناصر ذليل، والذي يترفع على أبناء جنسه منحط القدر أمام الآخرين، وقد أتت جملة جواب الطلب فعلية مؤكدة للدلالة على هذه الحالة المتجددة مع كل من اعتد بذاته واستغنى عن الآخرين، ومع كل من تكبر على غيره، ثم يأتي علم النحو ليرد على علم الصرف مستعملًا أسلوب النداء مظهرًا تعجبه من خلاله فيقول:" يا لله! استنت الفصال حتى القرعا، واستنسرت البغاث فكان أشد ثلمة وأعظم صدعًا... لقد ادعيت ما ليس لك..."[68]، وتعجب (علم النحو) في التركيب الندائي (يا لله) جاء للتعجب من علم الصرف ولفت انتباهه إلى الخطأ الذي وقع فيه، ثم أعقب الطلب التعجبي في النداء بمثلين يبين خطأ ادعاء علم الصرف لنفسه ما ليس أهلا له، فادعاؤه ما ليس له أشد ثلمة، وأعظم صدعًا في حقه، فجاء النداء التعجبي يحمل طاقة حجاجية؛ لتأكيد دلالة استعظام الأمر واستهواله.

ويرد النداء في المفاخرات بقصد السخرية والتحقير، من ذلك ما ورد في المفاخرة بين النرجس والورد لأبي الحسن المارديني على لسان النرجس وهو يرد على الورد فيقول:" يا قليل المودة، و يا قصير المدة، أين العيون من الخدود، وأين الجافي من الودود، أنا أوفي بميثاقي، ومن يزرني أجلسه على أحداقي"[69] الملاحظ أن نداء النرجس للورد بصفاته الذميمة قد أتاح له أن يقيم مقارنة حجاجية بينهما، غرضها تأكيد إثبات أفضلية.

وقد يرد النداء في المفاخرات بقصد السخرية والتحقير، من ذلك ما دار بين الجسر والبركة –في المفاخرات الباهرة–وذلك على لسان البركة وهي تخاطب الجسر:" يا رديء الطباع، وأخس البقاع، تفخر علي بحشيشك الخسيس، وتغزوني بالغزوات من جنود إبليس"[70]، إذ تكررت النداءات بغرض ذم الخصم والحط منه، فالنداء هنا بعبارات الذم والشتم التي يحلها هنا محل المنادى (الخصم) أفاد

التحقير والسخرية، وجواب الطلب فيه جملة استفهامية يقصد منها التعجب من الخصم، كيف له أن يفاخر بشيء وضيع لا يستحق أن يفاخر به، ثم تأتي جملة استفهامية أخرى لإظهار مفاخر البركة: "أين أنتَ من الدرة السنية والهالة القمرية؟"[71]، وتستمر نداءات التحقير والسب والشتم بقصد الحط من مكانة الآخر، وتبلغ ذروتها عند رد الجسر على البركة إذ يقول: " أمعنتي في الخطاب، وأسرفت في الإطناب، يا أخس القحاب، يا حقيرة، يا نقرة يا باهتة، يا وجه السخرة، عامت في أرحامك المراكب، وخاض فيك الراجل والراكب.."[72].

فالمبالغة في استدعاء الجسر للألفاظ الجارحة ضد خصمه (البركة) حاضرة، والنداءات ليست مباشرة للبركة، إنما لأوصافها، وتوالي النداءات يدل على حالة الغضب التي وصل إليها الجسر، واستطاع الكاتب على لسان الجسر توصيف ما يجري في البركة، بطريقة أراد منها تأكيد مكانة البركة بقوله: (عامت في أرحامك المراكب)، وكذلك (خاض فيك الراجل والراكب)، ومن يحمل هذه الصفات لا يرقى أن ينال ما ناله الجسر، وهذه النداءات يأتي في مقابلها عل لسان البركة:" احفظ لسانك يا تعيس يا شكل الإنكيس وقرابة إبليس"[73]، فهي لم تكتف بطلب حفظ لسانه عن الفحش والبذاءة فحسب، إنما نادته بأوصاف مذمومة، وعرّضت به بطريقة غير مباشرة، باستخدام النداء:" يا سوق الفسوق تبًا لمن جعل الباطل حقا"[74]، وتكمن حجاجية النداء في إتاحته تمرير ما يريده المفاخر، من الاعتداد بذاته، أو الحط من مكانة خصمه.

وما سبق من نداءات بقصد التحقير والسخرية يعكس صورة من صور استعمال النداء في المفاخرات.

وقد يأتي النداء لبيان عجز الخصم وضعفه، مثال ذلك –في اللطف والمنة في مفاخرات فواكه الجنة– ما ورد في المفاخرة بين الرطب والأعناب لجلال الدين السيوطي على لسان النخل وهو يرد على الكرم:" قد تطاولت يا من لا يفلح بغير غرسه ولا يطرح قائمًا بنفسه"[75] وهذا الادعاء الذي مرره النخل من خلال النداء أكده بقوله:" تزاحم شجراتك الحشائش، وتأكل ثمارك النوامش"[76]، ثم يكرر النداء لتأكيد الضعف والسخرية من الخصم بقوله: " يا من سوقه عيدان، و غصونه ديدان"[77]، وجاء المنادى (مَنْ) مبهمًا، في إلماح إلى أنه ليس ذا شأن، ثم يؤكد الجملة السابقة بقوله: "لضعف قلبك، انفرشت، وعلى الأعواد عرشت"[78]،وركن النداء الثاني عبارة عن جملة فعلية دلت على التجدد والاستمرار.

وقد يأتي النداء للتهديد والزجر، من ذلك ما جاء في المفاخرة بين التين والعنب لشمس الدين محمد بن المحب على لسان التين مخاطبًا العنب:" أيها العنب أنا كنت أولًا أتناعس عنك وأتكسر، وقد عدت لك الآن أتيابس فلا أتناعس ولا أنزجر، أتزعم أنك ذو ألوان فاخرة"[79]، فالنداء في (أيها العنب) جاء في سياق التصعيد وإظهار حالة التوتر والغضب التي وصل إليها (التين)، فهو من

خلال ندائه للخصم وتصريحه باسمه (العنب) يبطن تهديدا وإنذارا، الغرض منه ترهيب الخصم لإيقافه عن التطاول والمفاخرة بنفسه.

وقد يأتي النداء لغرض التهدئة وطلب الصلح بين الخصمين، جاء ذلك في المفاخرة نفسها على لسان العنب إذ يقول: "لا أيها التين إلى كم هذا الجدال والخصام! وكم تكلمنا بأسوأ كلام، وتشاجرنا وتساخرنا، وصار ذلك رفع الأنفس كالكلام ...، ولكن الذي يقتضيه رأيي وهو الصواب أن يحكم فينا عدل، يكون لديه فصل الخطاب"[80]، فنداء التين باسمه استمالة إلى الغرض الذي أراده العنب، وكانت النتيجة أن سلم التين لهذا الإغراء.

وبناء على ما سبق فإن النداء لم يأت لمجرد لفت الانتباه أو الإصغاء فحسب، وإنما جاء لتحقيق فعل إنجازي ما، وهو إقناع المتلقي بقبول فحوى الخطاب، والتسليم له.

خاتمة:

من خلال ما مر من شواهد في المفاخرات يتضح مدى حضور أنماط الأساليب الإنشائية بطابعها الحجاجي من استفهام، ونداء، ونهي، وأمر، وقد أظهرت وظيفتها الإنجازية قيمة ذات قوة دلالية حجاجية مؤثرة، وتتجلى هذه القيمة في تراكيبها المحفزة التي تستدعي النهوض بالحجة، فالاستفهام أدى وظيفته الحجاجية من خلال تحفيز المتلقي، وإثارة ردة فعله المنتظرة؛ ولذلك جاء في الصدارة، كما أسهم الأمر في توفير طاقة حجاجية، وقدرة إقناعية؛ لما يحمل في طياته من أبعاد حجاجية لدلالته على استمرارية الحدث، وتكمن حجاجية النهي في طاقته الفاعلة لتضمنه معنى الترك أو طلب الكف عن فعل ما وإنجاز فعل مضاد له، وما يحمله من دعوة توجيهية للمتلقي وبالنتيجة اقتناعه بهذه الدعوة، وتمثلت وظيفة النداء في العلاقة التي تنشأ بين المنادي والمنادى، والمعاني الخفية الزائدة على المعنى الأصلي للنداء التي ترتبط بالجوانب النفسية والشعورية والوجدانية، وبذا نستطيع القول: إن الأساليب الإنشائية قد حققت الغاية الحجاجية، التي تمثلت ببعدها الدلالي الهادف للإقناع والتأثير

الهوامش:

(1) انظر: الحجاج في المقام المدرسي، صكوحي كورنيليا فون راد، وحدة البحث في تحليل الخطاب، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، 2003م، (13).

(2) انظر: نفسه، (13).

(3) المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، جميل صليبا، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، د.ط، 1994م، ج1، (446).

(4) موسوعة لالاند الفلسفية، لالاند، منشورات عويدات، بيروت– باريس، مج1، ط2، 2001م، (39).

(5) نفسه، صـ 93.

(6) انظر: مدخل إلى الحجاج، أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، د. محمد الولي، عالم الفكر، العدد 2، مج40، أكتوبر ديسمبر 2011م، (11)

(7) الحجاج بين النظرية والأسلوب عن كتاب نحو المعنى والمبنى، باترك شارودو، تج د. أحمد الودرني، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2009م، (14).

(8) لسان العرب ،محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، الحواشي لليازجي

وجماعة من اللغويين، دار صادر بيروت، لبنان، ط3، 1414هـ، (48/5).

(9)انظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، جبل لبنان، د.ط، د.ت، (254/4، 255)، ولسان العرب، (49/5).

(10)المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، حسين الصديق، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2000م، (196).

(11)المفاخرات المتخيلة في النثر العربي، تاريخ وتقويم، مصطفى محمد رزق السواحلي، مجلة قطاع، كليات اللغة العربية والشعب المناظرة، مج2، ع1، 2006، 2007 م، (1709).

(12)فن المفاخرات في العصر العثماني دراسة مقارنة بالفنون الأدبية الأخرى، زينب بيره جكلي، مجلة التجديد، الجامعة الإسلامية، ماليزيا، ج15، ع30، 2011م، (148) .

(13)انظر: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي السور المكية، د.مثنى كاظم صادق، كلمة للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2015م، (137-138).

(14)اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1988م، (126).

(15)انظر: التداولية عند العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني والعربي، مسعود صحراوي، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2008م، (124).

(16)انظر: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، السور المكية، (137).

(17)التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، آن روبول، وجاك موشلار، ترجمة: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، (32).

(18)انظر: نفسه، (36).

(19)انظر: الحجاج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2011م، (141).

(20)الخطاب والحجاج، أبوبكر العزاوي، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، (57).

(21)انظر: البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، محمد علي القارصي، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، دط، دت، (394).

(22)انظر: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، السور المكية، (139).

(23)البرهان في وجوه البيان، إسحاق بن وهب، تح: د.حنفي محمد شرف، مكتبة الشباب، القاهرة، مصر، 1969م، (94).

(24)انظر: نفسه، (94)، وانظر: أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم غرضه – إعرابه، عبد الكريم محمود يوسف، الناشر: المؤلف، مطبعة الشام، دمشق، سوريا، ط1، 1999م، (170).

(25)المفاخرات الباهرة بين عرائس ومتنزهات القاهرة، عز الدين المقدسي، تح: محمد الشتاوي، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1999م، (83).

(26)صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أحمد بن علي القلقشندي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، د.ط، (268/14).

(27)المفاخرات الباهرة بين عرائس ومتنزهات القاهرة، (82)

(28)نفسه، (83).

(29)نفسه، (83-84).

(30)نفسه، (80).

[31]مفاخرة بين مكة المكرمة والمدينة المنورة، محمد بن سليمان (تـ ق8هـ)، تح: محمد الششتاوي، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1999م، (26).

[32]نفسه، (27، 28).

[33]نفسه، (31).

[34]مجموع المقامات اليمنية، جمع وتحقيق عبد الله محمد الحبشي، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ط1، 1987م، (17).

[35]خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، تح: عصام شقيو، دار الهلال، بيروت، لبنان، ط الأخيرة، 2004م، (230/1).

[36]آليات الحجاج وأدواته، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، إشراف حافظ علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ج1، ط1، 2020 م، (78).

[37]صبح الأعشى في صناعة الإنشا، (268/14).

[38]انظر: حجاجية الاستفهام في القرآن الكريم سورة الأنبياء أنموذجا، قلاب ذبيح خديجة ونسيب فاطمة، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، 2016م، (45)

[39]المناظرة بين مكة والمدينة، علي بن يوسف الزرندي، تح: سعيد عبد الفتاح، دار الأمين، القاهرة، ط1، 1993م، (45، 46).

[40]انظر: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، السور المكية، (144).

[41]الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، المكتب العصرية، بيروت، ط1، 1423هـ، (155/3).

[42]انظر: أساليب الطلب أنماطها ودلالتها، دراسة تطبيقية في ديوان ابن الرومي، إسماعيل عباس الكعبي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، 1998م، (17).

[43]خزانة الأدب وغاية الأرب، (235/1).

[44]المحاضرات والمحاورات، جلال الدين السيوطي، الناشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1424م، (190).

[45]نور النهار في مناظرات الورود والرياحين والأزهار، المارديني، اليماني، المقدسي، تح: محمد الشتتاوي، دار الآفاق العربية، ط1، 1999م، (11).

[46]نفسه، (11).

[47]المناظرة بين مكة والمدينة، الزرندي، (46).

[48]القيمة الحجاجية في الجمل الإنشائية في شعر طرفة ابن العبد: دراسة نحوية دلالية، حسين راضي العايدي، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مج17، ع2، 2021م، (171).

[49]نور النهار في مناظرات الورود والرياحين والأزهار، (26).

[50]انظر: الحجاج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه، (149).

[51]انظر: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، السور المكية، (148).

[52]انظر: البلاغة العربية قراءة أخرى، د.محمد عبدالمطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مصر، ط1، 1997م، (297).

[53]انظر: جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم، د.محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط11، 1995م، (198-199).

[54]كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار، عز الدين بن غانم المقدسي، تح: علاء عبد الوهاب محمد، دار الفضيلة، القاهرة، دط، دت، (60).

[55]نفسه، (60).

[56]كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار، (65).

[57]المفاخرات الباهرة بين عرائس ومتنزهات القاهرة، (38)، كاتب المفاخرة مجهول ويرجح المحقق أن المفاخرة من

مفاخرات العصر المملوكي، انظر: المفاخرات الباهرة بين عرائس ومتنزهات القاهرة، (31).

[58]نفسه، (38).

[59]نفسه، (86)، باب زويلة: أشهر باب من أبواب القاهرة، خوخة العياقة: فتحة في سور القاهرة الغربي ثقبها اللصوص، انظر: المفاخرات الباهرة بين عرائس ومتنزهات القاهرة، الحاشية، (86).

[60]نور النهار في مناظرات الورد والرياحين والأزهار، (12).

[61]نفسه، (12).

[62]خزانة الأدب وغاية الأرب، (16).

[63]نفسه، (16).

[64]المناظرة بين مكة والمدينة، الزرندي، (53، 54).

[65]انظر: الأصول في النحو، ابن السراج، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط4، 1999م، (329/1).

[66]انظر: شرح المفصل للزمخشري، ابن يعيش، قدم له د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العملية، بيروت، لبنان، ط1، 2001م، (48/5، وما بعدها).

[67]صبح الأعشى في صناعة الإنشا، (14/ 239).

[68]نفسه، (14/ 240).

[69]نور النهار في مناظرات الورد والرياحين والأزهار، (11).

[70]المفاخرات الباهرة بين عرائس ومتنزهات القاهرة، (38).

[71]نفسه، (38).

[72]نفسه، (45).

[73]نفسه، (45).

[74]نفسه، (45).

[75]اللطف والمنة في مفاخرات فواكه الجنة، شمس الدين بن المحب السيوطي، الذهبي، تح: محمد الششتاوي، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1999م، (21).

[76]نفسه، (21).

[77]نفسه، (21).

[78]نفسه، (21).

[79]نفسه، (34).

[80]نفسه، (41).

المصادر والمراجع:

1. أساليب الطلب أنماطها ودلالتها، دراسة تطبيقية في ديوان ابن الرومي، إسماعيل عباس الكعبي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، 1998م
2. أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم غرضه – إعرابه، عبد الكريم محمود يوسف، الناشر: المؤلف، مطبعة الشام، دمشق، سوريا، ط1، 1999م
3. أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي السور الملكية، د.مثنى كاظم صادق، كلمة للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2015م
4. الأصول في النحو، ابن السراج، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط4، 1999م
5. آليات الحجاج وأدواته، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، إشراف حافظ علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ج1، ط1، 2010م
6. البرهان في وجوه البيان، إسحاق بن وهب، تح: د.حنفي محمد شرف، مكتبة الشباب، القاهرة، مصر، 1969م

7. البلاغة العربية قراءة أخرى، د. محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مصر، ط1، 1997م.
8. البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، محمد علي القارصي، إشراف حمادي صمود، طباعة كلية الآداب، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، دط، دت
9. التداولية اليوم، آن روبول وجاك موسكي، ت: سيف الدين رغنوش ومحمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2003م
10. التداولية عند العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني والعربي، مسعود صحراوي، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2008م
11. جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم، د.محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط11، 1995م،
12. حجاجية الاستفهام في القرآن الكريم سورة الأنبياء أنموذجا، قلاب ذبيح خديجة ونسيب فاطمة، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، 2016م
13. الحجاج بين النظرية والأسلوب عن كتاب نحو المعنى والمبنى، باترك شارودو، تج د. أحمد الودرني، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2009م
14. الحجاج في الشعر العربي القديم، بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2011م
15. الحجاج في المقام المدرسي، صكوحي كورنيليا فون راد، وحدة البحث في تحليل الخطاب، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، 2003م
16. خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، تح: عصام شقيو، دار الهلال، بيروت، لبنان، ط الأخيرة، 2004م
17. الخطاب والحجاج، أبوبكر العزاوي، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2010م
18. شرح المفصل للزمخشري، ابن يعيش، قدم له د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العملية، بيروت، لبنان، ط1، 2001م
19. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي القلقشندي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، د.ط
20. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، المكتب العصرية، بيروت، ط1، 1423هـ
21. فن المفاخرات في العصر العثماني دراسة مقارنة بالفنون الأدبية الأخرى، زينب بيره

جكلي، مجلة التجديد، الجامعة الإسلامية، ماليزيا، ج15، ع30، 2011م
22. القيمة الحجاجية في الجمل الإنشائية في شعر طرفة بن العبد: دراسة نحوية دلالية، حسين راضي العايدي، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مج17، ع2، 2021م
23. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، جبل لبنان، د.ط، د.ت.
24. كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار، عز الدين بن غانم المقدسي، تح: علاء عبد الوهاب محمد، دار الفضيلة، القاهرة، دط، دت
25. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، الحواشي لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر بيروت، لبنان، ط3، 1414هـ،
26. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1988م
27. اللطف والمنة في مفاخرات فواكه الجنة، شمس الدين بن المحب السيوطي، الذهبي، تح: محمد الششتاوي، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1999م
28. مجموع المقامات اليمنية، جمع وتحقيق عبد الله محمد الحبشي، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ط1، 1987م
29. المحاضرات والمحاورات، جلال الدين السيوطي، الناشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1424م
30. مدخل إلى الحجاج، أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، د. محمد عبد الولي، عالم الفكر، العدد 2، مج40، أكتوبر ديسمبر 2011م
31. المعجم الفلسفي بالألفاظ لعربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، جميل صليبا، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، د.ط، 1994م، جـ1
32. المفاخرات الباهرة بين عرائس ومتنزهات القاهر، عز الدين المقدسي، تح: محمد الششتاوي، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1999م
33. المفاخرات المتخيلة في النثر العربي، تاريخ وتقويم، مصطفى محمد رزق السواحلي، مجلة قطاع، كليات اللغة العربية والشعب المناظرة، مج2، ع1، 2006، 2007 م
34. مفاخرة بين مكة المكرمة والمدينة المنورة، محمد بن سليمان (تـ ق8هـ)، تح: محمد الششتاوي، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1999م
35. المناظرة بين مكة والمدينة، علي بن يوسف الزرندي، تح: سعيد عبد الفتاح، دار الأمين، القاهرة، ط1، 1993م
36. المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، حسين الصديق، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2000م

37.موسوعة لالاند الفلسفية، لالاند، منشورات عويدات، بيروت– باريس، ج1، ط2، 2001م

38.نور النهار في مناظرات الورود والرياحين والأزهار، المارديني، اليماني، المقدسي، تح: محمد الشتتاوي، دار الآفاق العربية، ط1، 1999م